

المعادلة المستحيلة في سورية والعراق!



حسام ميرو

إن المعادلة السابقة تجعل من الأوضاع في سورية تدور في حلقة مفرغة، وتسهم في تكريس الوقائع القائمة في صورتها العريضة، والتي يمكن أن تتأهبها بعض التغيرات هنا وهناك، لكنها بالمجمل تبقى في الإطار نفسه، فليس هناك إرادة دولية، وتحديداً أمريكية، في إحداث اختراقات جديدة للوضع الداخلي، وما تمارسه الولايات المتحدة في سورية لا يبتعد كثيراً عن سياساتها في العراق. بالطبع، ليست أمريكا صاحبة القول الفصل فيما يجري في سورية والعراق، فقد أدى انكشاف الوضع في البلدين على النفوذ الإقليمي إلى تعقيد المعادلات، وزاد من شهوة الدول الإقليمية في رسم معادلات جديدة، وسيكون من الصعب في المدى القريب تصور أي متغيرات دراماتيكية في البلدين، والوصول إلى حلول سياسية دون عقبات كبرى، ومشاريع أكبر، ولم يعد ممكناً إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، فلم يعد هناك دولة اسمها سورية، كما لم يعد هناك دولة اسمها العراق، فنحن نتحدث عن كيانات من الماضي، لكن، ما ستؤول إليه الأوضاع في شكلها النهائي ما زال بعيداً، وربما نشهد فصولا أخرى من المبادرات، ومن السعي إلى حلول سياسية، لكن الآمال تبقى ضعيفة، فالصراع ما زال مستمراً بين لاعبين إقليميين، يرسمون سياسات بلدانهم لسنوات عديدة مقبلة، ولا يتعاملون فقط من خلال عين الحاضر، والتي تبدو فيها الصور لشعبي سورية والعراق مشوشة.

الفتل في معالجة ما استجد من مشكلات يعود بطبيعة الحال إلى الطريقة التي تكونت فيها البنية الاجتماعية والاقتصادية، والتي وقفت بدورها عائقاً أمام التحولات التي جرت خلال السنوات الأربع الماضية، وبشكل خاص في سورية. وفي الحالتين السورية والعراقية، يبدو أن الاستعصاء هو السمة الأبرز في معالجة مآسي البلدين، إذ أن البحث عن حلول سريعة وذات جدوى على المدى القصير هو رهان خاسر، فقد جرت جملة من التحولات الهائلة، والتي لا يمكن إغفالها في تقييم ما يتم اقتراحه من حلول، وإلا فإننا قد ننساق وراء عمليات سياسية لا تقدم أي حل جدي، بل أنها تكسر واقع الحال الموجود، وربما تشتغل بعض الدوائر الدولية على هذا المبدأ، أي تفريغ فكرة الحل من مضمونها. ليس خافياً على أحد أن واشنطن لم تظهر أي اعتراض على مساعي روسيا، وعلى مؤتمر موسكو لما سمي "المعارضة السورية"، فهي تعرف مسبقاً بأن المؤتمر لن ينجز أي خطوة جديدة في حل الأزمة السورية، وأنه سيزيد من إحباط السوريين في إمكانية التوصل إلى حل سياسي، والذي بات بحسب ما تعلنه أطراف عديدة بأنه الحل الوحيد في ظل غياب إمكانية الانتصار العسكري. هل نحن أمام معادلة مستحيلة تقول بأن الحل لا يمكن أن يكون إلا سياسياً وفي الوقت نفسه ليس هناك إمكانية حقيقية لأي حل سياسي؟.

على الرغم من كل الكلام الصادر عن مسؤولين عراقيين في إحراز تقدم في قتال تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) إلا أن الواقع الميداني يؤكد بأن ما يجري هو عمليات كر وفر في قتال التنظيم، وأن "داعش" الذي يتعرض إلى بعض الخسائر ما زال قادراً على شن هجمات عبر مساحات واسعة في العراق، ويكشف عن هشاشة الخطط الأمنية في مواجهته، ونقص الإمكانيات الموجودة لدى باقي الأطراف، والأخطر من ذلك، أن الوضع العراقي برمته وصل إلى واقع تحكمه معادلات صعبة الحل، لجهة التناقضات الموجودة بين مختلف الأطراف. ولا يبدو التحالف الدولي جدياً في محاربة تنظيم "الدولة الإسلامية"، إذ أن منطق الأمور يقول بإمكانية استثمار (داعش) لفترة أطول، فهي اليوم الرقم الصعب في سورية والعراق، ومن خلالها يمكن تكريس تحولات مهمة في الجغرافية السياسية للبلدين، خصوصاً أن الأجواء الإقليمية لا توحى بقرب توصل اللاعبين الإقليميين إلى تفاهات فيما بينهم، بل أن بعض هذه الأطراف تجد بأن ديمومة الأوضاع الراهنة من شأنها أن تغير من آليات التفكير حول الحلول المقترحة، بل أنه يمكن ترسيخ قناعات جديدة حول الصراع، وهو ما يخدم استراتيجيات بعيدة المدى لهؤلاء اللاعبين. إن مقارنة الأوضاع في سورية والعراق من منطق سير الأحداث خلال السنوات القليلة الماضية فقط من شأنه أن يضلل التحليل، فجزء كبير من

كوباني المدمرة بعد طرد «داعش» وصعوبة عودة السكان

■ كوباني (سوريا) (رويترز) -



المئات التي كان السكان يختبئون وراءها من أعين القناصة ما زالت معلقة في شوارع مدينة كوباني، والتي توشي مبانيها المحطمة وطرقها ذات الحفر بأن من فروا من المدينة لن يعودوا على الأرجح إليها سريعا. وقالت القوات الكردية الأسبوع الماضي إنها سيطرت تماما على مدينة كوباني التي تقطنها أغلبية كردية والواقعة قرب الحدود مع تركيا بعد شهر من قصف تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) لها. وإعلان القوات الكردية انتصارها برفع الأعلام الكردية لتحل محل رايات تنظيم "الدولة الإسلامية" بلونها الأسود عمت الاحتفالات وسط أكثر من 200 ألف لاجئ فروا إلى تركيا منذ بدء الهجوم على البلدة في سبتمبر/ أيلول الماضي. وولدت برودة الجو والفقر والجوع رغبة لدى الكثيرين للعودة إلى ديارهم، ومحاولة استعادة حياتهم المعيشية.

لكن شهوراً من المعارك دمرت البلدة. تقف سيارات محطمة بجوار مبانٍ تحولت إلى ركام، كما أن الطرق مليئة بحفر عميقة.

وتجوب دوريات المقاتلين الأكراد ممن يشعرون بالإرهاق والتوتر الشوارع، كما أن خطر وجود عبوات ناسفة لم تنفجر يشعر المدنيين بالخوف من المكان الذي يمكن أن تطأه أقدامهم.

وقال مقاتل من وحدات حماية الشعب الكردية وهو يمسك بسلاحه الألي ويقف أمام أنقاض مبنى "العودة إلى كوباني" ستكون أصعب من مغادرتها.

وأضاف وهو يشير إلى كومة من الأنقاض بنفس ارتفاع المبنى المؤلف من طابق واحد المجاور لها "تحتاج المدينة إلى أن يعاد بناؤها من البداية".

وأصبحت كوباني الواقعة وسط التلال ولا يفصلها عن تركيا سوى خط مهجور للسكك الحديدية نقطة محورية للصراع الدولي ضد تنظيم "الدولة الإسلامية"، ويرجع ذلك جزئياً للأسلحة الثقيلة وعدد المقاتلين الذين دفع بهم التنظيم إلى ساحة القتال.

وبمساعدة الضربات الجوية اليومية التي توجهها القوات بقيادة الولايات ووصول مقاتلين من إقليم كردستان العراق تمكن المدافعون عن كوباني من صد

وقالت صحيفة راديكال التركية إن تنظيم "الدولة الإسلامية" أطلق قذيفة سقطت قرب الحدود التركية داخل كوباني، يوم الخميس الماضي، ما أسفر عن إصابة أربعة مدنيين.

ونفى مؤيدو "الدولة الإسلامية" أن يكون جرى طرد التنظيم.

وتساءل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بشأن ما الذي يجب الاحتفال به. ويشعر أردوغان بالقلق من دعم الأكراد السوريين، وسط مخاوف من أن يعطي ذلك دفعة لمساعي الحكم الذاتي الكردي في شمال سوريا.

وقال في اجتماع لمسؤولين حكوميين محليين في قصره في أنقرة "عندما يتعلق الأمر بكوباني يقف العالم كله ويتعاون... اليوم يرقصون في فرح. ماذا حدث؟".

وتساءل "خروج (الدولة الإسلامية) من هناك رائع. لكن من سيصلح كل هذه المواقع التي قصفت؟ هل سيتمكن من فروا من كوباني ومجموعهم 200 ألف من العودة؟ وعندما يعودون أين سيعيشون؟".

مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" وإعلان تحقيق انتصار مبدئي يوم الاثنين الماضي. ولوح مقاتلون من وحدات حماية الشعب بعلامة النصر أمام مجموعة من الصحفيين كانوا يرافقونهم في كوباني، لكن وراء الشعور بزهوة الانتصار ما زالت أجواء التوتر تخيم على البلدة.

قال مقاتل يحرس ميدانا في الوقت الذي تقوم فيه مجموعة من زملائه بدوريات في الشوارع المحيطة على دراجات نارية "ما زالت قذائف المورتر تسقط هنا. لا تتجولوا في المنطقة فالوضع خطير".

واستمرت المعارك في القرى إلى الجنوب الشرقي والجنوب الغربي من كوباني منذ أن أعلن الأكراد انتصارهم.

وقالت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) يوم الاثنين الماضي إن المعركة من أجل السيطرة على البلدة لم تنته بعد، وصرح مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأمريكية بأن الوقت ما زال مبكراً لإعلان أن "المهمة أنجزت".

الجهادي رحيم عزيز يهدد بريطانيا بهجمات إرهابية

رسالة إلى المساجد أشادت فيها بإدانة مسلمي بريطانيا هجمات باريس "لكن على الأئمة بذل جهود إضافية لمنع التطرف بين المسلمين".

وأوردت الرسالة التي كتبها وزير الجاليات أريك بيكلز: "أمامكم فرصة ثمينة ومسؤولية مهمة هي شرح كيف أن الدين الإسلامي يمكن أن يكون جزءاً من الهوية البريطانية".

ورد مجلس مسلمي بريطانيا برسالة إلى بيكلز اتهمته بعدم مراعاة مشاعر المسلمين.

وفي أستراليا، أعلن محققون أن المحامية كاترينا دوسون التي قتلت مع رهينة أخرى في هجوم شنته الشرطة في 16 الشهر الجاري على مقهى في سيدني، لإنهاء احتجاج إسلامي يدعى هارون مؤسس يعاني من مشاكل نفسية 17 رهينة، قتلت بشظايا رصاص مرتد أطلقتها الشرطة.

على صعيد آخر، أعلن مجلس مسلمي بريطانيا أن مساجد البلاد ستفتح أبوابها أمام عامة الناس، في محاولة للتواصل مع المواطنين غير المسلمين عقب "التوترات حول الإرهاب" التي أعقبت شن إسلاميين هجمات في باريس حصدت 17 قتيلاً قبل 3 أسابيع. وأكد مسؤولو نحو 15 مسجداً في إنكلترا مشاركتهم في هذا اليوم.

وقال المجلس: "سنخصص يوم الأحد لزيارة المساجد، حيث سيجري تقديم شاي وحلويات في أماكن العبادة والإجابة على أسئلة حول الدين الإسلامي، وتقديم نظرة على ما يحصل في المساجد يومياً. كما ستدعو المساجد قادة باقي الأديان وكل الناس للتجمع في المساجد، وإظهار الوحدة والتضامن في هذه الأوقات المتوترة".

وبعد هجمات باريس، بعثت الحكومة البريطانية

هدد الجهادي البريطاني أبو رحيم عزيز الموجود في سورية بمهاجمة نواب وعسكريين بريطانيين قبل الانتخابات العامة، وقال في رسائل على "تويتر": المسلمون في الغرب تلقوا تعليمات بشن هجمات في البلدان التي يتواجدون فيها، والسؤال أي بلد سيضرب أولاً، وقد يكون ذلك بريطانيا.

وأضاف: "سيشن الجهاديون هجمات باستخدام أسلحة وقنابل وحتى حجارة"، مذكراً بأن عامل الإغاثة البريطاني الن هينينغ الذي أعدمه "داعش" العام الماضي، "استحق الموت لأنه ليس مسلماً".

وانضم عزيز (33 سنة) المتحدر من لوتون إلى تنظيم "داعش" في سورية، مستفيداً من إطلاقه بكفالة مالية في قضية طعنه باستخدام قلم حاد رأس مشجع لفريق كرة قدم. وهو من أنصار رجل الدين المتشدد المعروف في لندن انجم تشودري.

الفوضى وأمراء الحرب بيئة خصبة للاغتيالات

عصام عطا الله



أبو خالد السوري

الاغتيال يقول منذر: "أصابع الاتهام تتجه إلى تنظيم الدولة الإسلامية، ولكن هناك أطراف أخرى لها مصلحة بعمليات الاغتيالات، لذلك لا يمكن تحديد الفاعل بدقة". وامتدت عمليات الاغتيال إلى الإعلاميين، ولا سيما الثوريين، إذ لا توجد قوة تحميهم، فتعرضوا للخطف والاغتيال الممنهج، سواء من قبل النظام أو تنظيم الدولة الإسلامية، يقول الناشط أبو محمد الحلبي: "وضع تنظيم الدولة الإسلامية خطة ممنهجة لقمع صوت الثورة فقام بسلسلة من العمليات المنظمة، بدءاً من مهاجمة المكاتب الإعلامية وتكسير المحتويات أو سرقتها وليس انتهاء بالقتل أو الخطف، كما حصل مع الزميل عبد الوهاب الملا (حلب اليوم)، والزملاء في قناة أورينت، وقناة شدا"، فالتنظيم يدرك أهمية الإعلام ودور الكلمة الفعال.

وكان مستغرباً إقدام تنظيم الدولة الإسلامية على تصفية قادة التيار السلفي، يقول الشيخ أبو بلال من ريف حلب: "لم يكن يتوقع أحد في البداية أن يقدم تنظيم الدولة الإسلامية على قتل رموز جهادية دولية تتبنى الفكر السلفي الجهادي، فاغتيال أبو خالد السوري الذي دوخ الأمريكيان على يد التنظيم في حلب أظهر أن التنظيم لن يدخر وسيلة في بسط سلطانه"، فالتنظيم يؤمن بأن من ليس معه فهو ضده، ويرى أن خطر هذه الشخصيات أكبر من غيرهم، لكنهم القادرين على سحب الشرعية من التنظيم في الوسط الجهادي، وأصبح التنظيم مؤخرًا يذوق من الكأس المر نفسه، فتعرض عدد من قادته لعمليات اغتيال في مناطق سيطرته، يقول المدرس أبو الحسن من ريف حلب: "يجد التنظيم صعوبة في تأمين قاداته وعناصره، فهو يعيش في سجن كبير، حيث لم تفعل كل الإجراءات الأمنية بحماية عناصره وقاداته، بل أصبحت الوتيرة بازدياد". ويرى عدد من المتابعين أن عمليات الاغتيال جزء من عمليات التصفية داخل التنظيم، يقول: "واهم من يظن أن كل عملية قتل لقادة التنظيم يقوم بها الثوار، فيعتقد أن هناك جهاز سري مهمته قتل بعض القادة الذي يشكلون خطراً ما ولا يمكن محاكمتهم".

وأمام هذه التحديات شكل الثوار مجموعات خاصة، مهمتها محاربة النظام بالسلاح نفسه (الاغتيالات)، فتم تشكيل سرية أبو عمارة للمهام الخاصة التي تحولت لاحقاً لكتائب أبو عمار للمهام الخاصة، إذ يخضع عناصرها لتدريب فني عال، وقامت بعدد من عمليات الاغتيال لزملاء الشبيحة، مثل "الصوراني" في هنانو، والضباط والجنود في مناطق سيطرة النظام.

غير أن أخطر ما في عمليات الاغتيال دورها السلبي في زرع الفتنة بين الفصائل الثورية المقاتلة على الأرض، ولجأ النظام وتنظيم "الدولة الإسلامية" لهذه الوسيلة، ومما يؤسف له أن أغلب عمليات الاغتيال ولا سيما الكبيرة قادت ضد مجهول، وبقي المجرم طليقاً، كما حصل مع اغتيال قادة أحرار الشام، وهذا ماساهم في ازديادها، يقول منذر سلال: "لا يمكن التقليل من الاغتيالات دون معرفة الجهات الفاعلة، وطالما الفاعلين أحرار لا يمكن إيقاف هذه الظاهرة"، وفي هذا الصدد يقول حسن النيفي: "داعش الموجود في صوران -حلب يتسلل بشكل مستمر، ويصل باب السلامة، وهذا خطر على الثوار، وستبقى هذه الاغتيالات إذا لم تتشكل قوة من لون واحد".

ولا يمكن التخفيف من عمليات الاغتيال بسبب حالة الاختراق المتبادلة بين الأطراف، فالنظام والفصائل الثورية مختزقة، وإن كانت النسبة متفاوتة بين الأطراف، يقول المدرس نادر من ريف حلب: "كل الأطراف باتت مختزقة، فالثوار اخترقوا النظام، وداعش اخترق الثوار في عدة عمليات، وكذلك النظام تمكن من اختراق صفوف الثوار وزرع عدة خلايا نائمة"، وبالتالي يصعب أن تنتهي هذه العمليات في القريب العاجل.

الاغتيالات، معتمدين على عدة طرق، مثل استعمال البنادق الآلية وكوادم الصوت، وليس انتهاء بزرع العبوات الناسفة والمفخحات، ونجح النظام بداية باغتيال عدد من الشخصيات العسكرية المعارضة والإعلاميين، وتعتبر أجواء الحرب وحمل السلاح هي التي ساهمت بزيادة هذه الظاهرة. يقول حسن النيفي: "منذ أن اضطر الثوار لحمل السلاح وتحول الثورة من سلمية إلى مسلحة دون وجود جسم جامع للسلاح ومرجعية واحدة ازدادت عمليات الاغتيالات، ومع طول أمد الثورة ظهر أمراء الحرب والمصالح الضيقة والحساسيات ساهمت في زيادة هذه الظاهرة كما نراها الآن". ولكن السبب الرئيس في هذه الظاهرة هو نظام بشار الأسد، يتابع حسن النيفي: "النظام هو الذي خلق هذه البيئة وهو المستفيد منها". ومع مرور الوقت أصبح الثوار أكثر حرصاً وخبرة بالتدابير الأمنية، ما مكّنهم من كشف عدد من الخلايا الأمنية، مثل الخلية التي قامت بتفجير السلامة بحلب، والخلية التي قامت بتفجير معرة النعسان بإدلب وكذلك بريف درعا.

وبمرور الأيام لم تعد عمليات الاغتيال تقتصر على النظام، بل تعدتها للفصائل المقاتلة إذ اختلط الحابل بالنابل، وأصبحت الساحة خصبة للاغتيالات السياسية، ولا سيما المناطق التي تحتوي تنوعاً في الفصائل العسكرية، يقول منذر سلال نائب رئيس مجلس محافظة حلب: "أثناء وجود الفصائل العسكرية الثورية في منبج شهدت المدينة عدداً من الاغتيالات والخطف لرموز دينية وعسكرية، ودارت الشبهات حول تنظيم الدولة الإسلامية، لكن فقدان الدليل ترك المجرم دون حساب، ومع مرور الأيام بدا واضحاً أن التنظيم اغتال الشخصيات التي يمكن أن تقف بوجهه وتمتلك القدرة على تحريك الشارع". منذر سلال هو الآخر تعرض لمحاولة اغتيال في مدينة اعزاز الحدودية، ويرى أن محاولة الاغتيالات مترافقة مع أي خطوة لتجميع الصفوف والتوحد: "بعد عمل دؤوب لتوحيد ثوار مدينة منبج، توصلنا لاتفاق، وذلك بإجراء انتخابات مجلس الأمناء ومجلس محلي لمدينة منبج، وفي يوم الانتخابات كانت محاولة الاغتيال". وعن تفاصيل العملية يتابع منذر: "خرج ثلاثة شباب في سيارتي الخاصة، ولم يتبعدها مائة متر إلا وحصل انفجار نتيجة عبوة ناسفة كانت موضوعة في السيارة، واستشهد طفل، وأصيب مروان فرزات من منظمة الودع السوري وثلاثة من المارة"، وعن الجهة المتهمة بمحاولة

برزت في الثورة السورية ظاهرة الاغتيالات، واللافت أن الاغتيالات السورية لا تقتصر على فئة معينة، فقد تعرض السياسيون والعسكريون والإعلاميون والعاملون في المجال الإنساني والإغاثي وغيرهم من رجال الدين والفكر للاغتيال.

وعرفت الاغتيالات منذ فجر التاريخ كوسيلة لتحقيق المآرب والوصول للسلطة، ولا سيما عند الأنظمة الشمولية الديكتاتورية، وشهدت سورية في العصر الحديث عدداً من الاغتيالات على أعلى مستوى، لكنها أصبحت أكثر تنظيماً ودقة في عهد نظام الأسد الأب والابن، فقام النظام السوري بسلسلة من الاغتيالات. يقول الناشط المحامي ناصر: "كانت الاغتيالات السياسية سلوكاً ممنهجاً للنظام السوري ضد معارضيه سواء في الداخل أو الخارج، فكان أستاذنا بهذا المجال، فقد اتهم النظام باغتيال عدداً من الشخصيات اللبنانية، ليس بدءاً بكمال جنبلاط وليس انتهاء برفيق الحريري". ولم يقتصر الأمر على الخارج فقد امتد الأمر للخصوم الداخليين الذين يمكن أن يشكلوا خطراً ما، يتابع ناصر: "اغتيال النظام البيطار وزوجة عصام العطار في الخارج السوري، وداخلياً اغتال رموزاً مقربة منه كغازي كنعان ومحمود الزعبي والعميد محمد سلمان"، وعرف عن النظام تصفيته لأي شخصية تعزف خارج سمفونية النظام أو تتوجه له بالنقد، أو يمكن أن تشكل قلقاً ما. يتابع ناصر: "اغتيال النظام أبو القعقاع المشهور بتعامله مع الأمن السوري بعد انتهاء دوره، وقام بتصفية الشيخ معشوق الخزني الذي طالب بالحرية باكراً" فالنظام السوري مدرسة في هذا المجال.

وبدأت الاغتيالات تأخذ منحى آخر مع بدء الثورة السورية، حيث تصاعدت الوتيرة سواء من حيث العدد أو النوع، فلم تعد عمليات الاغتيال تقتصر على أجهزة المخابرات، يقول الناشط أبو محمد الحلبي: "أعطت أجهزة الأمن تفويضاً لزملاء الشبيحة بتصفية كل الناشطين الذين ينظمون المظاهرات منذ الأيام الأولى للثورة، فكانت هذه العصابات تقوم بخطف الناشطين من بيوتهم وذبحهم بطريقة بشعة، وإلقاء جثثهم في الشوارع لإدخال الرعب في نفوس المواطنين"، وكثيراً ما كان الإفراج عن الناشط يعني إصدار حكم الإعدام بحقه، ولا سيما إذا كان ممن يمتلكون شعبية في الشارع، وهذا ما حصل مع المعارض مشعل تمو الذي اغتيل في ظروف غامضة.

ومع خروج جزء من الأراضي السورية عن سيطرة النظام لجأ النظام لزرع الخلايا النائمة التي قامت بعدد من

عنف الثورة كذريعة لإدانتها



■ فيكتور يوس بيان شمس

للقدر أمام نظام لم يتورّع عن قتل أكثر من نصف مليون إنسان إلى الآن حتى بوجود السلاح، وتشريد أكثر من (10 ملايين)، واعتقال وإخفاء أكثر من نصف مليون آخرين؟ ألا يعني ذلك دفن الثورة في مهدها بإبادة سريعة ومختصرة للشعب السوري كله بذريعة الحفاظ على "سليمة الثورة"، ذلك الاختراع الغاندي العجيب في حالة كالحالة السورية، والذي مازالت تصرّ عليه بعض أطراف "المعارضة"؟. ماذا عن المظاهرات المطالبة العنيفة التي لا ترقى لمستوى الثورات في بلدان أوروبا الغربية المتحضرة، كانتفاضات طلاب الجامعات في بريطانيا مثلاً، أو سائقي وسائل المواصلات العامة في فرنسا؟ وهذا ما يطرح سؤالاً ضرورياً آخر: من أين استقى هؤلاء "المعارضون" نماذجهم السلمية، إذا كان التاريخ، وتجارب الدول الأكثر تحضراً تخلو منها، مع استثناءات لا تمت للواقع السوري بأي صلة؟.

لعل الخل الحقيقي في الثورة السورية، وربما كل ثورات الربيع العربي، أنها لم تنتج بدائلها السياسية بعد سنوات من الصراع، فالفرغ الذي كان قبل الثورة، بقي على حاله خلالها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا ما كان إلا نتاج التدخلات الخارجية بها في وقت لاحق، وشراء الولاءات، والتي حرصت على شرذمتها وتشيتها خوفاً من امتداد نيرانها التي تهدد وجودهم في أنظمة حكم على شاكلة النظام السوري، وهو بالضبط مقتل الثورة الذي إن تجاوزته، تكون قد وضعت قدمها على الطريق الصحيح، وهو ما لا يضيء هؤلاء "المعارضون" عليه. وكخلاصة، يسمح إصرار هؤلاء "المعارضين" على خيار "سلمية الثورة" بعد كل هذا الدمار والخراب بالنظر إلى الفرضية المقابلة التي تكيل لهم الاتهام بقرينهم من النظام، وتبني خطابه لحرصهم على ما هو قائم، والخوف من زواله، خاصة وأن مأخذهم الرئيسي الوحيد في الغالب لا يتعدى مسألة التسليح التي لم يستطيعوا أن يؤثروا بأحد طرفيها، أكثر من التشويش على خيارات الشعب، وتحمله المسؤولية عما آلت إليه أحواله.

أظافر الأطفال وأمان أهاليهم؟ ألم يكن ذلك نتيجة الخوف من القادم الذي يعرفون ماهيته جيداً؟. لم يكن تسليح الثورة في بداياتها بناء على قرار متخذ في مكان ما، بل حتى لو كانت كذلك، فإن مبررات التسليح كانت متوفرة تماماً، حيث عملت قوات النظام على اقتحام المدن والقرى بالدبابات للتنكيل بأهاليها وإهانتهم، واعتقال أنبائها، وهو ما فاق ممارسات أي احتلال مرّ على دمشق، بما فيها الغزو المغولي 1259 م على يد هولاكو، والثاني على يد تيمور لنگ 1400 م، وما تلاهما من غزوات واحتلالات صهيونية، فيكيف والحال هذه، إذا كان المحتل هذه المرأة "نظاماً وطنياً" واجبه السهر على راحة مواطنيه وتوفير الحماية لهم، عوضاً عن قتلهم واعتقالهم وتدمير مدنها وقراهم ممتلكاتهم؟.

إذاً، لم تكن الثورة السورية ذات طابع أيديولوجي - وهي مازالت كذلك -، ولم يكن لديها أي برنامج سياسي واضح، بل كانت بداياتها سلمية بالفعل، تطالب في ساحات المساجد التي وفّرت لها التوقيت المناسب، ببعض المطالب التي كان بالإمكان تلبيتها لاختصار المجزرة، وهذا بالضبط ما حاول النظام استخدامه، أي تخويف الأقليات من ذلك التوقيت الذي لم يكن السبق فيه للسوريين، فالخروج من المساجد كان قد بدأ منذ الثورة التونسية قبلها بأشهر، وامتد ليشمل كل ثورات "الربيع العربي". إضافة إلى أن التسليح ما كان، إلا فردياً، وبالحدود التي يمكن السيطرة عليها في بداية الأحداث (ألم يعترف بشار الأسد نفسه بأن "الستة أشهر الأولى كانت سلمية")، لكن العنجهية، والإصرار على سحق الحراك، والذي يجد أساسه في تلك العقود من الإذلال وانعدام أي هامش من الحرية مهما كان ضيقاً، دفعا النظام للضرب بيد من حديد، بعد أن أعطى لقواته الصلاحيات المطلقة، لتنهب، وتقتل، وتنتهك الأعراض، وتفعل بالبلاد والعباد ما تشاء.

وهنا يجب طرح السؤال: ماذا لو لم تتسلح الناس كما يرغب هؤلاء "المعارضون"؟ ألا يعني ذلك الاستسلام

يُصّر بعض "المعارضين" المحسوبين على ما يُسمى "معارضة الداخل" في إطلاقاتهم الإعلامية، وبعد مرور قرابة الأربع سنوات على المذبحة السورية، أن مشكلتهم مع الثورة، تكمن أساساً في تسليحها. يحاول هؤلاء تصوير المسألة وكأنها كانت خاضعة لأمزجة البعض، وعمالة وارتباطات البعض الآخر بجهات خارجية كان لها المصلحة في تسليح الثورة، وتحويل الحراك إلى حرب أهلية مدمرة لم تبق حجراً على حجر، وهي نفس رواية النظام وحلفائه على كل حال.

أغلب هؤلاء محسوبون على قوى "اليسار"، قوميون، و"شيوعيون" كانوا في تنظيمات إما سرية، أو علنية مرتبطة قبل الثورة، أو على الأقل، كانت هذه الأحزاب والتنظيمات، آخر تجاربهم الحزبية، وفيها انبني، ومنها استقوا وعيهم.

وإذا ما عاد المرء للأدبيات الماركسية كلها، من ألفها إلى يائها، لن يجد جملة واحدة تتحدث عن ضرورة أن تكون الثورة سلمية، بل بالعكس، كلها تؤكد على أن الحزب، هو الأداة الرئيسية للبطش بسلطة البرجوازية بشكل عنفي. إضافة إلى أن التاريخ لم يسجل ثورة شيوعية، أو يسارية واحدة حدثت بشكل سلمي، منذ ثورة أكتوبر 1917 في روسيا، وما تلاها في الصين 1949، أو كوبا 1959، وغيرها الكثير من الثورات التي وصلت للسلطة بـ "العنف الثوري". إلا أن هذا لا يعني من جهة أخرى، أن الثورة السورية كانت ثورة شيوعية أو يسارية، إضافة إلى أنها لم تكن ثورة يمينية، أو ليبرالية، أو حتى دينية. كانت الثورة السورية رد فعل طبيعي على البطش، في ظل غياب أي تأثير لأي أيديولوجيا بسبب أربعة عقود من إفراغ الحياة السياسية وتطويعها بما يثبت دعائم السلطة، ولو اقتضى ذلك سحق مدن بأكملها. ألا يؤكد ذلك إجراءات ابن خالة رئيس الجمهورية عاطف نجيب، رئيس فرع "المخابرات السياسية" في محافظة درعا، عندما انتزع

حزب الله العمالة المبطنة

فراس دادة



اختلفت الدول العظمى عبر التاريخ في تقنيات هيمنتها على المنطقة والأساليب التي تسمح لها باستنزاف إمكانيات الشعوب الرازحة تحت حكمها ، وفي العصر الحديث قدم الاستعمار الغربي لبلداننا العربية نموذجاً جديداً تمثل في زرع كيان أجنبي يستنزف شعوب المنطقة ومقدراتها ويصبح مصدراً لقلقها، وهذا ما كان في إسرائيل ، وكان من مستلزمات هذه اللعبة وشروطها وجود عناصر من ذات تلك الشعوب تقوم بالترويج للعداء والمعرفة المزعومة، والتي يفترض فيها أن تستنزف إمكانيات البلدان العربية دون أن تحقق انتصاراً واضحاً وفعلياً.

وقد تمثلت تلك العناصر في البداية بالزعماء العرب أنفسهم ، بحيث يبرم أولئك صفقة ضمنية مع إسرائيل، مضمونها تسويق النزاع مع إسرائيل على أنه المشكلة الجوهرية والأولية، وأنه من دون الانتصار على إسرائيل لا يمكن تحقيق أي تنمية منشودة أو تقدم مطلوب ، ولكن، على ما يبدو أن الغرب أدرك جلياً بأن القادة العرب سيصبحون أوراق محروقة عاجلاً أم آجلاً ، نظراً للكم الهائل من الفساد والنجسية التي اتصف بها هؤلاء ، كما أن غالبهم كانوا يجاهرون بالعمالة للغرب أو حتى يقومون بما يكشف عمالتهم للغرب .

لذا كان لابد من زرع كيان أو السماح بظهور كيان من نفس الشعوب العربية، يسوق لتلك المعركة بشكل أفضل، شرط ألا يسمح له بامتلاك القوة التي من شأنها تهديد مصالح الغرب وأمن إسرائيل بشكل فعلي ، ومن مستلزمات ذلك أن يسمح لذلك الكيان بتحقيق انتصارات وهمية يختلف ظاهرها من الناحية الاستراتيجية عن حقيقتها ، ولعلّ الضالة المنشودة كانت حزب الله اللبناني .

وليس من الخفي بأن الشروط المطلوبة لتلك المهام موجودة في حزب الله، بحيث يسمح الموقع الجيوستراتيجي لنشاط ذلك الحزب بتأدية المهام المطلوبة منه على أكمل وجه، كما أن ولادة ذلك الكيان في بيئة معادية لإسرائيل تساعد في ذلك .

وفعلاً أفلح حزب الله في السنوات الأخيرة الماضية في أن يكون نواة لاستنزاف العديد من دول المنطقة، ومثار للجدل وشق الصف بين الشعوب العربية، والأهم من ذلك كله خلق مزاج جمعي يعتقد بأن الأولوية للحرب مع إسرائيل قبل وجود جاهزية فعلية لتلك الحرب، ما يشكل عائقاً في وجه جميع أشكال التنمية المستدامة والتطور، ويزيد من انتشار الجهل والسطحية في شعوب هي أساساً خرجت منهكة من معركة الاستقلال، وهذا ما يضمن الهدف الأسمى لإسرائيل وللغرب بأن يظل محيطها عاجزاً

المنطقة، ما يقطع الطريق في وجه كل تحرك إلى الأمام، ويوجه الجهود نحو التسلح والعسكرة بدلاً من التنمية البشرية والعلمية والاقتصادية، وهي بالطبع اللازمة التي لا بد منها لأي حرب متوازنة ممكن أن تكون في المستقبل .

ولعلنا إذا أمعنا النظر في التغيرات التي طرأت مؤخراً على رؤية الإدارة الأمريكية في المنطقة، بالإضافة إلى التوجه الغربي، لوجدنا أن تلك المجتمعات أصبحت تميل إلى تحقيق مصالحها في الشرق الأوسط من دون التدخل العسكري المباشر، لما له من تكاليف باهظة على المستوى البشري والاقتصادي والعسكري، فضلاً عن ردود الأفعال العنيفة التي يستتقها ذلك التدخل في المجتمعات العربية والإسلامية عموماً، ولتحقيق ذلك لابد لها من الاعتماد على أحجار شطرنج تحركها بما يتناسب مع أولوياتها وأهدافها، وقد وجدت تلك القوى ضالتها في الأصولية الإسلامية بشقيها السني والشيوعي، تلك الأصولية التي ستكون مضخة مصالح للقوى العظمى في الغرب والشرق، ويستوي هنا ما إذا كانت تلك الأصوليات تعلم بحقيقة الدور الذي تقوم به أو لا تعلم.

وانطلاقاً من التصورات المذكورة آنفاً، نستطيع الإجابة على التساؤل المثير للجدل والمتعلق بكيفية سماح الولايات المتحدة الأمريكية لحزب الله بامتلاك كل تلك القوة التفوق العسكري في المنطقة مع أنها تصرح في كل مناسبة بأن حزب الله هو أحد مكونات محور الشر الذي أطلقته وفقاً لما يتناسب مع مصالحها الاستراتيجية، كما أن ذلك يدفعنا وبشدة إلى مراجعة سلم أولوياتنا فيما علينا أن ننجز لأنفسنا وللمستقبل أبنائنا .

عن مواكبة عصره، ومرهوناً لقوى عظمى تتحكم إسرائيل في زمام القرار فيها، ما يضمن أمنها لبعود عديدة قادمة .

وإذا راجعنا المحطات التي لعب فيها الحزب دوراً جوهرياً نجد أن معظمها كان له أثر كارثي على دول المنطقة، ففي حرب تموز كانت النتيجة دمار هائل في البنى التحتية اللبنانية، وانهيار للسياحة التي تشكل العمود الفقري للاقتصاد اللبناني، فضلاً عن الخسائر غير المتوازنة في الأرواح. وعلى الرغم من هذه النتائج الكارثية، سارعت القوى الإقليمية والدولية على حد سواء بما فيها إسرائيل بالترويج للحرب على أنها انتصار تاريخي للحزب، ما يدعونا للتفكير ملياً في الجدوى التي ستجنيها إسرائيل من تلك الدعاية لقوة يفترض أنها ألد أعداءها ؟!

وفي انقلاب 2008 الذي قام به حزب الله على حكومة الأغلبية النيابية كانت الضربة القاضية للحياة السياسية في لبنان، حيث كان ذلك الانقلاب إعلان لعصر حزب الله في لبنان، وأخيراً وليس آخراً الدور الكارثي الذي لعبه حزب الله في قمع الثورة السورية، وسبغ ثورة السوريين باللون الطائفي، ما من شأنه أن يكون وقوداً لحرب طائفية تأخذ المنطقة برمتها إلى المجهول، وتصيب السلم الأهلي في لبنان وفي المنطقة في مقتل، وبالطبع إطلاق رصاصات الرحمة على الدولة اللبنانية.

بات من الواضح بعد مرور سريع وخاطف على أبرز الأدوار التي لعبها حزب الله في الفترة الأخيرة، الخسائر التي كبدها حزب الله للمنطقة بشكل مباشر، ناهيك عن الدور غير المباشر الذي أسلفنا ذكره، والمتمثل في قلب الأولويات، ووضع الحرب أساس ينطلق منه التفكير الاجتماعي في

الفتنة والخروج في غياب الثورة

■ حكم عاقل

كلا من عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم في عام الحرة، عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث. ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة، وتفضيل الاعتزال على الخوض فيها.

ويبدو أن تقنين الخروج على الحاكم يمكن تلمسه عبر ثلاثة مواقف تختلف باختلاف ممارسات الحاكم وطريقة تسييره لشؤون الأمة:

الموقف الأول: إذا صدرت عن الحاكم مخالفات عملية، أو تساهل في الالتزام بأحكام الشرع، فتجب طاعته وتقديم النصيحة، ويعد الخروج عليه حراماً، وأي اجتهاد يبرر ذلك فهو خطأ.

الموقف الثاني: إذا كان الحاكم فاسقاً وظالماً ومبتدعاً، فارتكب المحظورات والكبائر دون ترك الصلاة، فسلب الحقوق أو دعا إلى معصية، فهو يطاع في طاعة الله، ويعصى مع الإنكار عليه في المعصية، ويجوز عزله سلمياً إن أمكن ذلك دون السيف، شريطة ألا يترتب على ذلك مفسدة أكبر، فإن لم يكن ذلك، وجب المبالغة في الإنكار عليه والتحذير من ظلمه وبدعته حتى لو أدى الأمر إلى الاعتزال عن العمل معه والتعرض لأذاه، بشرط ألا يكون سبب ذلك حقاً شخصياً، وعلى هذا تحمل أحاديث من نوع ((من جاهدكم بنفسه فهو مؤمن))، و ((من دخل عليهم وأعانهم على ظلمهم))، و ((فاصبر وإن جلد ظهرك وأخذ مالك)).

الموقف الثالث: يتعلق بالحاكم الكافر أو المرتد، وفي حكمه تارك الصلاة ونحوه، فهؤلاء يجب الخروج عليهم ولو بالسيف، إذا توفرت القدرة على ذلك، وإلا فعلى الأمة أن تسعى لإعداد القدرة والتخلص من شره.

ويبدو أن التوجهات التي تساهلت مع الخروج على الحاكم في غير الحالات القصوى المذكورة بقيت مواقف فردية عند باقي أهل السنة والجماعة، دون أن يشمل ذلك طبعاً تلك الفرق التي انشقت عن هذا المذهب فشرعت بحركات تمرد كبرى، مثل الخوارج والبابكية والقرامطة ونحوهم. وهي الموصوفة عند أهل السنة والجماعة بالفتن أو الخروج، بينما يغيب مفهوم الثورة بمعناها المعاصر. وباسم وحدة الأمة والحفاظ على تماسكها يوصف هؤلاء الخارجين مرتكبي الفتن بالأقلية مقابل الأكرية (السواد الأعظم)، وهنا تكمن الإدانة والتجريم. وهنا نجدنا أمام حديث ذو دلالة هامة على هذا الصعيد يرويه أحمد عن سعيد بن جهمان، قال ((أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو مخجوب البصر، فسلمت عليه، قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جهمان، قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلت الأزارقة، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم كلاب النار، قال: قلت: الأزارقة وخدعهم أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها. قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم، قال: فتناول يدي ففخزها بيده غمرة شديدة، ثم قال: ويحك يا ابن جهمان عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم إن كان السلطان يشمع منك، فأته في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قيل منك، وإلا فدعه، فإنك لست بأعلم منه)).

تعرّف منهم وتذكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)).

وفعلينا، غابت عن الفكر الإسلامي بتوجهاته السنية خصوصاً نظرية في الثورة، وعدت محاولات التمرد فتنة أو خروجاً. وبرز ذلك مبكراً في إطلاق تسمية الفتنة في وصف ثورة المسلمين في المدينة على عثمان بن عفان الخليفة الثالث، أو انشقاق الفرقة التي رفضت التحكيم عن علي بن أبي طالب وتسميتها بالخوارج. إذ أن الكيان المذكور (الجماعة/ الأمة) ينبغي المحافظة عليه، ويشهد على ذلك كم الأحاديث التي نقلت لتؤكد على النهي عن الاقتتال بين المسلمين واعتزال الفتن، بل تفضل المسلم قاتلاً على كونه مقتولاً، وتلك التي تحت على ظلم الحاكم وجوره، والنهي عن الفتنة والخروج مهما بلغ الظلم، وقيدت ذلك بشروط صارمة تتعلق بشكل أساسي بحالات الكفر البواح، ومنع الصلاة، أو قيادته الأمة بغير الكتاب والسنة. ولعل المبرر الأساس الذي يقف خلف تلك المواقف المتحفظة على ما نسميه اليوم بـ "الثورة" هو أن ظلم الحكام وفسادهم يهدد أبناء الأمة، بينما يهدد الكفر البواح هوية الأمة. فقد نهى

أسس النبي، انطلاقاً من يثرب، الجماعة الإسلامية الأولى المستندة إلى المبدأ الديني القائم على التوحيد، والتي ستصبح ركيزة لمفهوم الأمة الإسلامية. وفي القرآن: ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ))، وهكذا سيكون الدين هو الرابط الأساس بين أبناء هذه الأمة ومانحاً إياها هويتها. وكان الحفاظ على تلك الهوية الدينية هو المهمة الرئيسية. في باب "كيف الأمر إذا لم تكن جماعة" من كتاب "الفتن"، يروي البخاري عن سلمة بن يزيد الجعفي، أنه سأل النبي، فقال ((يا نبي الله أرايت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجدبه الأشعث بن قيس وقل: اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)).

كما يروي مسلم في باب "طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق" من كتاب "الإمارة" عن حذيفة قوله ((كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي



حسن نصر الله : نحن لا نريد الحرب مع إسرائيل لكن لا يخشاه

وكان نصر الله يتحدث في ذكرى تأبين مقتل ستة من مقاتلي حزب الله، وجنرال إيراني، قتلوا في غارة جوية إسرائيلية في سوريا في 18 يناير/ كانون الثاني. ورد حزب الله يوم الأربعاء الماضي على العملية بهجوم صاروخي على قافلة عسكرية إسرائيلية على الحدود اللبنانية، ما أدى إلى مقتل جنديين إسرائيليين. وقال نصر الله إن مقاتلي حزب الله كانوا على أتم الاستعداد لجميع الاحتمالات قبل عملية يوم الأربعاء التي تعد أخطر مواجهة بين العدوين اللدودين اللذين كانا قد خاضا حربا استمرت 34 يوما في عام 2006. وقال نصر الله الذي كان يتحدث في قاعة سيد الشهداء في الضاحية الجنوبية لبيروت عبر شاشة عملاقة «أنا اليوم بعد عملية شهداء القنيطرة والرد في مزارع شبعا أريد أن أكون واضحا، نحن في المقاومة الإسلامية في لبنان لم تعد يعنينا أي شيء اسمه قواعد اشتباك. نحن لا نعترف بقواعد اشتباك. انتهى. ولا في مواجهة العدوان والاحتلال».

وأضاف : «من حقنا الشرعي والأخلاقي والإنساني والقانوني وبالقانون الدولي... أن نواجه العدوان أيا كان هذا العدوان وفي أي زمان وكيفما كان. أن نواجه في أي مكان وأي زمان وكيفما كان».

وكان من بين الحضور رئيس لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في مجلس الشورى الإيراني علاء الدين بروجردي الذي أتى خصيصا للمشاركة في الاحتفال.

ووصف نصر الله الهجوم بأنه «جريمة اغتيال» وقال إن الرجال السبعة كانوا في زيارة ميدانية إلى المنطقة، ولم يكن معهم إلا سلاحهم الفردي، وإنهم كانوا على بعد ستة كيلومترات عن الحدود، وبينهما آلاف المقاتلين من جبهة النصرة وهي فرع من القاعدة. ونقل راديو الجيش الإسرائيلي عن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو قوله إن أولئك الذين يقفون خلف هجوم يوم الأربعاء «سيدفعون الثمن الكامل».



الحق في الرد على «العدوان» الإسرائيلي في أي مكان وزمان.

وأضاف نصر الله «نحن لا نريد الحرب ولكن لا نخشاه. الإسرائيلي يجب أن يعرف جيدا أننا رجالها وأننا مجاهدوها وأننا صناع نصرها».

ومضى يقول «إذا كان العدو الإسرائيلي يحسب حسابه أن المقاومة مردوعة وأنها تخشى الحرب أنا أقول له اليوم في ذكرى شهداء القنيطرة وبعد عملية شبعا النوعية فليأخذ هذا العدو علما نحن لا نخاف الحرب ولا نخشاه ولا نتردد في مواجهتها وسنواجهها إذا فرضت علينا وسنتنصر بها إن شاء الله».

من الواضح أن العملية التي نفذها حزب الله يوم الأربعاء الماضي ضد أليات إسرائيلية لم تكن سوى ردا محدودا على اغتيال إسرائيلي لكواادر من الحزب في القنيطرة السورية، وأن عملية حزب الله لا تهدف إلى التصعيد الميداني مع إسرائيل، بل إلى المحافظة على موقع الحزب لدى جمهوره ومناصريه، والتأكيد على أنه قادر على الرد بشكل سريع، ومن دون ماطلة، وعدم ترك حق الرد مفتوح على زمان ومكان مؤجلين. وقال الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله يوم الجمعة الماضي إن حزبه لا يريد الحرب، ولكنه لا يخشاه، وعلى استعداد لخوضها إذا ما فرضت عليه، وأن له

غزوة «قسماً لنثأرن» تقتل عشرات الضباط وتعيد السيسي من أثيوبيا

القاهرة (رويترز)

عاد الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي إلى القاهرة مساء الجمعة بعد أن قطع زيارة إلى أثيوبيا، حيث كان يحضر قمة الاتحاد الأفريقي في أعقاب مقتل 30 شخصا على الأقل في انفجارات وهجمات في شبه جزيرة سيناء.

وأعلن تنظيم ولاية سيناء -جناح الدولة الإسلامية في مصر- يوم الخميس المسؤولية عن الانفجارات التي وقعت في العريش عاصمة محافظة شمال سيناء، وهجمات أخرى وقعت في مدينتي الشيخ زايد ورفح. وقال التنظيم في بيان يوم الجمعة إن نحو مئة من مسلحيه شاركوا في الهجمات، زاعماً أنها أسفرت عن سقوط «مئات القتلى وعشرات المصابين بينهم ضباط كبار وتدمير مقراتهم».

وقال البيان إن عشرة أطنان من المتفجرات في ثلاث سيارات مفخخة استخدمت في الهجمات في العريش مشيراً إلى أن أكثر من انتحاري شاركوا فيها. وأضاف «تأتي هذه الغزوة المباركة ضمن عمليات

(قسماً لنثأرن) انتصارا للمسلمين، وثأراً لأخواتنا العفيفات في سجون الحكومة المصرية المرتدة».

وتقول منظمات حقوقية إن هناك بضع نساء في السجون المصرية أُلقي القبض عليهن خلال مظاهرات احتجاج في الأغلب.

وتصف الحكومة المصرية الإسلاميين المتشددون في سيناء بالكثيريين في إشارة إلى تكفيرهم للمجتمع. وقالت رئاسة الجمهورية في بيان إن السيسي حضر اثناء وجوده في أديس ابابا الجلسة الافتتاحية للجنة وقال مسؤولون كانوا في استقباله في المطار إنه سيعقد سلسلة اجتماعات مع المسؤولين خلال الساعات المقبلة لبحث التطورات في شمال سيناء.

ووقعت ليلة الخميس أربع هجمات منفصلة على قوات الجيش والشرطة في شمال سيناء، تعد من أعنف الهجمات دموية في سنوات. وسقط معظم الضحايا في تفجيرات بسيارات ملغومة وهجمات بقذائف المورتر، استهدفت فندقا لضباط الجيش والكتيبة 101 ومديرية الأمن بمدينة العريش عاصمة محافظة شمال سيناء.

وقالت مصادر أمنية في العريش إن ثلاثة انتحاريين يستقلون سيارات ملغومة استهدفوا المقار الأمنية في العريش، ضرب أحدهم استراحة الضباط، بينما ضرب الآخران الكتيبة 101 ومديرية الأمن. وأضافت المصادر إن هجوما بقذائف المورتر على المقار الثلاث تزامن مع تفجير السيارات الملغومة.

وقالت المصادر إن 60 شخصا أصيبوا في الهجمات بينهم خمسة في حالة حرجة.

وتنظيم «ولاية سيناء» هو أكثر الجماعات الإسلامية نشاطا في شمال سيناء، وكان يسمى نفسه جماعة «أنصار بيت المقدس» قبل أن يعلن في نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، انضمامه لتنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش)، ومبايعته لأبو بكر البغدادي زعيم التنظيم.

وقال زك جولد من معهد الدراسات الأمنية الوطنية في تل أبيب إن العادة أن يشن الإسلاميون المتشددون هجماتهم على نقاط التفتيش الأمنية خارج المدن في شمال سيناء وإن شن الهجمات على منشآت أمنية في العريش يمكن أن يكون مؤشرا إلى تصاعد قدراتهم.

معوقات الحداثة في العالم العربي

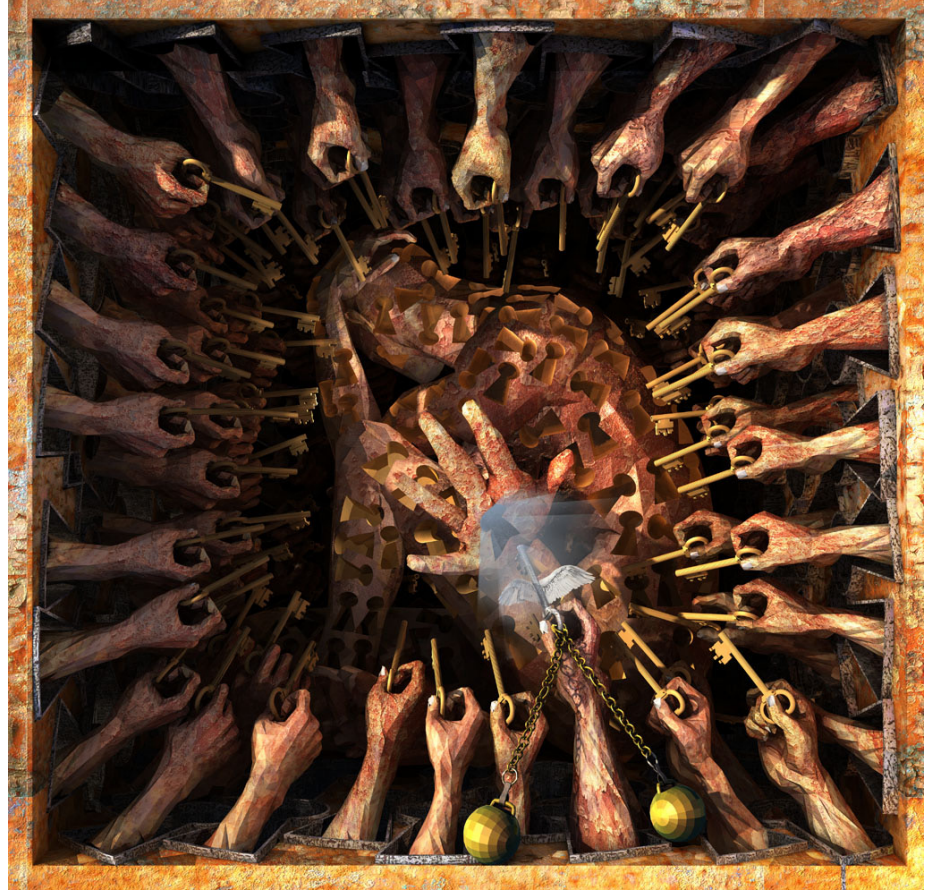
من التجربة الاجتماعية، ليس عن طريق تحويله وتطويره إلى صورة أرقى منه، وإنما عن طريق عزله ومنعه قسراً. وبهذا فإن سلطة الدولة العربية ليست منسلخة عن المجتمع فحسب، بل هي عازلة له ومتسلطة عليه. فهي تحتل مراكز الإشراف التي تقع على تقاطع العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الداخلية.

لذلك يبدو العالم العربي عالماً مفككاً، لا يحافظ على وجوده الهش إلا الاستبداد السياسي المتزايد عنفاً، ويجد نفسه أسير معادلات سياسية مستحيلة، إذ أن الإدراك السياسي لحكامه والجزء الأكبر من معارضيه يبدو مقتصراناً على الإدانة الخطابية للمؤامرات الخارجية. ولهذا - أساساً - آلت الحالة العربية إلى التوصيف الذي ورد في تقارير التنمية الإنسانية الخمسة التي صدرت في العقد الماضي من الألفية الثالثة، وأمكن لنظام آل الأسد أن يدمر سورية على رؤوس أبنائها، وأن يتمكن «داعش» من إقامة «دولة الخلافة».

وإذا كانت الأزمة العامة في أقطارنا العربية، بديمومتها واستعصائها، تشكل كابحاً لتطلعات شعوبنا، وتضع وطننا أمام طريق العجز عن مواجهة المخاطر والتحديات حاضراً ومستقبلاً، فهي أيضاً تزيد وتفاقم من مأزق الحكومات في التلاؤم مع استحقاقات التغيرات الكبيرة في موازين القوى والأوضاع الدولية.

لقد أفقدت تداعيات ربيع الثورات العربية العديد من الحكومات مصادر شرعيته، وأوضحت مدى ضعف المؤسسات السياسية في الأقطار العربية، وأبرزت أبعاد الأزمة: غياب المشاركة السياسية في الحياة العربية العامة، إما نتيجة اللامبالاة السياسية وضعف الوعي السياسي، وإما لعدم الثقة في الأنظمة السياسية، وإما نتيجة تضيق قنوات المشاركة من قبل هذه الأنظمة، وإما لتوافر هذه الأسباب مجتمعة. والانفصال بين الحاكم والمحكوم، وعدم وجود تفاعل بين قيم وأمنيات ومطالب المحكومين والسلوك السياسي للحاكمين، الأمر الذي يؤثر في مدى توافر شرطي الرضا والقبول من جانب المحكومين، وهما الشرطان اللذان لا استمرار الأداء السياسي للسلطة وفعاليتها في المجتمع. وغياب المؤسسات السياسية الفاعلة القادرة على إعداد وتدريب وتجند المواطنين بالأسلوب الديمقراطي الذي يوفر إمكانية الحوار والتفاعل بين كل التيارات الفكرية والسياسية الرئيسية لصياغة رؤى وتحديد وسائل عمل تتعاطى مع التحديات المطروحة بما يخدم خروج الأمة من محنتها.

* باحث استشاري في "مركز الشرق للبحوث" - دبي



■ د. عبدالله تركماني *

هذه الدولة تتيح أوسع الفرص لممارسة أقلية ما هيمنة دائمة، والصراعات حول السلطة (وكثيراً ما تعتبر هي السياسة في مجتمعاتنا المتأخرة) داخل هذه الأقلية تسهم أكثر في تعزيز السيطرة الممارسة لا إضعافها. هذه الأقلية، الأقوى من الشعب، بإلغائها الحياة السياسية، عطلت بالنتيجة عملية تحديث السياسة، وعرقلت ديمقرتها، أي عرقلت عملية تحول الأفراد من رعايا إلى مواطنين في الدولة.

وهكذا، يبدو أن الدولة الحديثة لم تمتد جذورها إلى الأقطار العربية. ويبدو أن إحدى المشكلات الكبرى للدولة العربية، التي ظهرت بعد نيل الاستقلال الوطني، أنها لم ترتبط بفكرة الحرية وفكرة العقلانية، بل ارتبطت بفكرة التوازن بين البدوة والدولة، حين مثلت البدوة حرية الأصل السابقة للدولة، ومثلت العشيرة المحافظة على بعض حرية التصرف داخل الدولة.

ففي حين أن المجتمع الحديث يتميز بتعدد العلاقات والمراتب الاجتماعية، التي تعبر عن نفسها في صورة مؤسسات، ثم تأتي الدولة فتتوحد هذه المؤسسات وتستعيد في إطار وحدة عامة شاملة، فإن الدولة العربية "الحديثة" استبعدت جزءاً هاماً

الدارس للسياسات العربية يجدها موسومة بالخصائص الرئيسية التالية:

- اللاعقلانية، إذ لم يعرف الفكر السياسي العربي، في غالبيته، مخاضاً فكرياً مثل الذي عرفته أوروبا في عصر الأنوار والثورات القومية الديمقراطية التي عصفت به، فجعلته ينتقل بالسياسة من إفسار اللاهوت والأخلاق إلى سياق العلم والممارسة.

- اللاديمقراطية، إذ أن السياسات العربية أديرت من قبل نخب بالغة الضيق، بمعزل عن الشعب بمختلف طبقاته وفئاته وتياراته السياسية والفكرية الرئيسية، ما جعلها سياسات مرتجلة، وغير منسجمة مع مصالح الشعوب العربية حيناً، أو في تناقض معها أحياناً أخرى.

إن ما ذكرناه أعلاه يسلط الضوء على مشكلة التأخر العربي، تأخر البنية السياسية العربية بجماعها. لقد بقيت الدولة العربية في شتى أشكالها ذات بنية تقليدية. والصفة الأولى المميزة لدولة ذات بنية كهذه ليس فقط كونها فوق المجتمع، بل أيضاً كونها تؤسس للاندماج بين السلطة وممارستها.